**ظهور المسيحية وانتشارها: (أول تاريخ العصور الوسطى الاوربية)**

**م م ابرار محمود صالح /قسم التاريخ/كلية التربية للبنات**

ظهرت الديانة المسيحية في فلسطين وانتشرت في اقاليم الامبراطورية الرومانية المقدسة شرقا وغربا بشكل سريع، فهذه الديانة الشرقية، قدر لها أن تعترف بها الامبراطورية الرومانية بعد ثلاثة قرون من ظهورها، وتحديداً في مرسوم ميلان ٣١٣م، وبعد ذلك أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية بعد عدة عقود، وهناك عدة أسباب لذلك منها: طبيعة تركيب الامبراطورية الرومانية، فقد كانت أجزاء الامبراطورية هذه الامبراطورية مرتبطة مع بعضها البعض بشبكة من الطرق ووسائل المواصلات لا نظير لها في العالم القديم، وساد الأمن في تلك الطرق وساعد ذلك على انتقال العقائد والافكار بين اقاليم الامبراطورية بسرعة، والى جانب ذلك طبيعة الديانة المسيحية التبشيرية ساعدت على سرعة انتشارها، فقد انتشرت في بادئ الامر بين الفقراء والمحرومين من سكان المدن، ثم أخذت تنتشر بين كل الفئات والطبقات. لقد كان المسيحيون الاوائل كلهم مبشرون كانوا يدعون الى ديانتهم الجديدة في حلهم وترحالهم، وبشروا بهذه الديانة بكل شجاعة واصرار دون خوف على الرغم من تعرضهم للأذى و الاضطهاد ، ويعد المسيحيين الأوائل هم تلامذة السيد المسيح والمقربين منه وسموا بالرسل والحواريين.

وفي مقدمة أولئك الرسل القديس بولص وهو مثقف يهودي ومواطن روماني من أهل طرسوس، كان في بدية الأمر خصما للمسيحية ثم صار من المؤمنين بها، تميز بثقافة عالية، فقد كان عارفا بتعاليم اليهودية وتراثها، وملما بالفلسفة اليونانية والافكار والاتجاهات التي كانت سائدة في عصرهن وكان مطلعا على الديانات الشرقية المختلفة، وبشر بالديانة المسيحية الجديدة وأحاط به مجموعة من التلاميذ المتحمسين لذلك، ولا بد من الاشارة الى ان الديانة الوثنية فقدت الكثير من حيويتها وجاذبيتها بسبب الانجازات الثقافية والفكرية اليونانية العظيمة، وحاول اغسطس رفع منزلته الى الالهة الرومانية ولكنه لم يوفق الا عندما أعلن الدين الجديد الرسمي للدولة الذي اكد على عبادة الامبراطور، ولكن هذه الديانة أثارت شكوك المثقفين والنابهين، ولاسيما ان الديانة الجديدة لا تتفق مع العقل والمنطق. ونتيجة لذلك انتشرت الديانة المسيحية لتملأ الفراغ الروحي آنذاك.

حقاً لقد عرضت المسيحية أشياء كثيرة كانت الاديان الشرقية قد عرضتها من قبل، ولكن المسيحية أضافت أشياء جديدة قصرت الديانات الاخرى عن بلوغها، ومنها تأكيدها الاخوة الانسانية تحت رعاية الابوة الالهية، واعطت التعاليم المسيحية مفهوم جديد للحب

والعطاء والاحسان، وذهبت بعيداً في عرض بعض الافكار الاجتماعية الواقعية التي تفيد السعادة في الحياة الدنيا والهناء في الآخرة، واعترفت المسيحية بحقوق السلطة الدنيوية، لقد وضع القديس بولص الاساس للفكر السياسي المسيحي، حيث قال لا توجد سلطة غير سلطة الله وتلك التي فوضها وخولها، ومن يقاوم هذه السلطة المفوضة يكون قد قاوم الله، وجزاء مثل هذا الهلاك والجحيم، ولم يتعرض المسيحيون الى الامبراطورية الرومانية أو ينافسونها في السلطة، طالما انهم اعتبروا الدنيا ضيوف فيها عابرون عن طريقها الى دار القرار ومملكتهم في ملكوت السماوات وليس في الدنيا، ولذلك لم تستأصلهم الامبراطورية الرومانية بصورة جدية، وعلى الرغم من ان المسيحيين لم يهاجموا الدولة الا انهم لم ينصاعوا لإرادتها، وحرصوا أن يكونوا مستقلون في عبادتهم وعقيدتهم دون السماح لأي تدخل فيها بأي شكل من الاشكال، وأخلصوا للمبدأ القائل أعطِ ما لقيصر لقيصر وما الى لله لله ولذا رفضوا بثبات واصرار عبادة الامبراطور الامر الذي كانت تعده الحكومة الرومانية مظهرا من مظاهر الولاء السياسي للحكومة الرومانية والذي نظر إليه المسيحيين بانه ألحاد.

**موقف الحكومة الرومانية من الديانة المسيحية حتى عام ٣١٣م:**

لم ترحب الحكومة الرومانية بالديانة المسيحية وقاومتها مقاومة شديدة، على الرغم من اتباع الحكومة سياسة التسامح تجاه الاديان المختلفة، وهناك عدة أسباب دفعت الحكومة للقيام بذلك:

- ان المسيحيين الاوائل كان جلهم تقريبا يقيمون في المدن، وعاشوا في عزله عن باقي الناس، مما أثار الشكوك حولهم وحمل السلطات الرومانية الوجل منهم ثم تم اتهامهم بالتآمر على سلامة الدولة.
- رفض المسيحيون عبادة الامبراطور، وعدوها ضرباً من الوثنية البغيضة، ورأت السلطات الرومانية في المسيحية الناكرة لعبادة الامبراطور، تهديدا خطيرا ليس لسلطان الامبراطور ومقامه الرفيع بل الامبراطورية وكيانها ومثلها.

ونتيجة للأسباب الآنفة الذكر، اندفعت الحكومة وعامة الناس الى مقاومة المسيحية، و وصلت تلك المقاومة الى حد التعذيب والقتل، وهناك مبالغات بهذا الشأن فإن الامبراطورية الرومانية لم تستأصل الديانة المسيحية، ومارس المسيحيون طقوسهم وعبادتهم بعيدا عن اعين السلطة ورقابتها، وافتضاح امرهم كان يعرضهم للعذاب والتنكيل، و واجهوا ذلك بمنتهى الشجاعة والثبات، وكان يلقى بهم أحيانا الى الوحوش والاسود في الساحات العامة امام المتفرجين دون ان يتراجعوا عن عقيدتهم، وهناك بعض الاباطرة لم يكونوا متشددون في مواجهة المسيحيون ولاسيما تراجان الذي بعث رسالة الى احد حكام الولايات ذكر فيها ما دام المسيحيون لا يجاهرون بديانتهم وعقيدتهم فدعهم وشأنهم.

**الاعتراف بالمسيحية ( مرسوم ميلان):**

صار واضحا منذ اوائل القرن الرابع على الرغم من إجراءات الحكومة الرومانية ضد المسيحية، سواء كانت تلك الاجراءات شديدة أم معتدلة، فإن عدد اتباع المسيحية في ازدياد مستمر تطلب ذلك الاعتراف بها، وتم اتخاذ هذه الخطوة من قبل الامبراطور قسطنطين عام ٣١٣م، وذلك بموجب مرسوم ميلان، حيث اصبحت المسيحية من الاديان المعترف بها في الامبراطورية الرومانية، وصارت على قدم المساواة مع باقي الاديان، ولم تكن دوافع قسطنطين واضحة، فأشارت الرواية المسيحية القديمة الى أن الامبراطور عند تقدمة الى أوربا في حربه ضد ماكنتوس وفي ساعة حرجة من ساعات الحرب رأى بعد غروب الشمس نورا من السماء و وسطه الصليب وتحته عبارة ستنتصر بفضل الله، فاتخذ قسطنطين الصليب شعارا له في المعركة فتم له النصر الامر الذي دفعه للاعتراف بالمسيحية، والحقيقة ان قسطنطين لم يصبح مسيحياً الا اواخر حياته، كما انه لم يتخل عن مفهوم عبادة الامبراطور، وهذا دليل على رغبته السياسية في القضاء على عامل التوتر والقلق في الامبراطورية هو الذي دفعه لتلك الخطوة وليس الاعتبارات الدينية المجردة، وأصيبت المسيحية بانتكاسة مؤقتة على يد الامبراطور جوليان المرتد (٣٦١-٣٦٣م)، ولكنها جاءت لتؤكد قوة الديانة الجديدة وصمودها، وفي عهد الامبراطور ثيودسيوس تم رفع الديانة المسيحية الى مستوى الديانة الرسمية للدولة، واعقبها قيام الحكومة الرومانية باضطهاد باقي الاديان وبذلك اصبحت الامبراطورية الرومانية مسيحية.

**انتشار المسيحية خلال القرنين الرابع والخامس:**

نجحت الكنيسة المسيحية في اوائل القران الرابع في اقامة مؤسسات ثابتة لها في كل جزء من اجزاء الامبراطورية، كما أرست لها قواعد راسخة تتمثل في النظام الكهنوتي والبابا والاساقفة، وعندما انهارت الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس حافظت الكنيسة على كيانها وقدرتها على البقاء بل انها مهيأة لبسط نفوذها على المجتمع الاوربي، ولم تنجح الكنيسة الكاثوليكية في تطوير الكنيسة فحسب بل انها توسعت جغرافياً متخطية حدود الامبراطورية الرومانية القديمة، وعندما فتح السكسون بريطانيا كادت المسيحية ان تدحر فيها، بل كادت العزلة ان تفرض على الجزر البريطانية برمتها، ونجح القديس باتريك في جعل الكثير من الايرلنديين يهتدون بالمسيحية، وصار عدد كبير من المبشرين الايرلنديين يبشرون بالديانة المسيحية بالجزر البريطانية، ونجحوا بذلك بشكل كبير، وفي الوقت نفسه كانت الامبراطورية في الشرق قوية وفرضت سلطتها على حساب الكنيسة وهذا الامر جعل الكنيسة الغربية أعلى شأنا من الكنيسة الشرقية.

**الهرطقة:**

تعرضت الكنيسة المسيحية الى العديد من حركات الانشقاق منذ فجر تاريخها، والمقصود بالهرطقة الخروج على العقيدة المعترف بها من قبل الكنيسة أو على جزء منها، فالهطرقة انشقاق وخلاف روحي وثقافي، ليس له صلة بالقضايا الاخلاقية أو المعاصي مهما كانت كبيرة، وعندما تطلب الامر ردا قويا وشاملا عن طريق الكنيسة، وكثيرا ما أدت مقاومة الحركات الهرطقية الى تقوية الكنيسة ومكانتها، ونتيجة لذلك قامت الكنيسة اعطاء تعريف دقيق ومحدد للعقيدة المختلف عليها واتخاذ اجراءات قمعية او إقناعيه تجاه الهراطقة. وظهرت معظم الحركات الهرطقية خلال القرون الاولى من تاريخ المسيحية ، والتي اغلبها يدور حول شخصية السيد المسيح، ولعل اريوس من اهالي الاسكندرية من اقدم الهراطقة الذي اشتقت منه الاريوسية ، وفي مؤتمر نيقيه عام ٣٢٥م الذي عقده قسطنطين والذي جمع فيه الاساقفة من جميع انحاء المعمورة، وبمساندة الامبراطورية الرومانية انتصرت وجهة نظر الكاثوليك، ولكن الاريوسية نجحت في كسب الكثير من القبائل الجرمانية لأعتناق افكارها.